

الفكر ليتفقد المجموع». لقد طبق الشاعر هذا القول تماما. وأضاف إليه جهد الشاعر في رحلته إلى المعنى، وهي معاناة تذكرنا بعبارات كيتس في مطلع هذه الفقرة. على أن أهم اعتراف للشاعر يخص ما نحن بصدد قوله إن الوارد قد يكون مطلع القصيدة أو مقطعا من مقاطعها بغير ترتيب، في ألفاظ مموسقة لا يكاد الشاعر نفسه يستين معناها، ومع هذا يظل الشاعر يرددها، حتى تفتح أمامه إحدى السبل إلى خلق قصيدة. وخلاصة القول هنا أنه ليس هنا لك بداية وخطوات حتمية تبدأ منها القصيدة، وليس البدء من الوسط أو من النهاية خاصًا بالشعراء العموديين أو بالشعر الغري. قد تبدأ القصيدة بأى بيت، أو نغم ملح تعوزه الألفاظ المحددة، وهذا يعنى أن الدافع إليه هو الشعور، الذى يسعى إلى التحدد، أو التحقق فى كلمات وصور مقبولة بالنغم. وإحساس عبد الصبور بالصورة الشاملة للقصيدة طغى على إحساسه بالصور الشعرية الجزئية أو المرحلية. فى قوله: إن مادة التعبير هى الصور الرموز إليها فى كلمات، تتوقف عند اللغة كرموز للأشياء، وتصير الصور الشعرية جزءا من هذا الطرف الثالث الموضوعى فى الحوار ذى الأطراف الثلاثة. غير أن وعيه بالصورة الشعرية، وعلاقتها بأركان البناء الشعرى تتضح فى قوله «إن التشكيل يصبح لدى الفنان نوعا من الغريزة الفنية مثله مثل المقدرة على الوزن وتكوين الصور» وعلى أية حال فإنه لا يعطى الوعى المتعمد أهمية بالغة فى مجال الفكر والتصوير، فعنده أن علاقة الشاعر بالفكر لا تنبع من إدراكه لبعض القضايا الفكرية، بل من اتخاذ موقف سلوكيًّا وحياتيًّا من هذه القضايا، بحيث يتمثل هذا الموقف بشكل عفوى فيما يكتبه. قد يعنى هذا -بدليل الخلف- أن محاولة إقحام موقف فكرى يدركه الشاعر نظريًّا ولكنه لا يعيشه داخليًّا وسلوكيًّا لابد أن تبوء بالفشل، وتتكشف عن قصيدة مضطربة. أما بالنسبة للصور فإن الموقف فى تصوره على العكس تماما «فالشاعر تستدعيه الصورة وتدفعه إلى إتمامها، وعندئذ تكتسب وجودا حقيقيًّا بالنسبة لحياته وذكرياته». فللصورة وجود موضوعى خارج ذات الشاعر وقبله، وهو يكتشفها ولا يخلقها، يكتشف علاقته بها فيجلوها، ويضعها فى سياق تجربته، ومن ثم يتحقق وجودها بالنسبة إليه.

نكتفى بهاتين الشهادتين من شاعرين مختلفين جيلا وفتًا، ومواطن الاشتراك - على أية حال - أقل من مواطن الاختلاف. إن الإحساس باللفظ عند جبرى يعادله الإحساس بالنغم عند عبد الصبور، وتأتى الصورة عند جبرى عفوية أو بالمصادفة عبر لفظ مشع قادر على